

انتظر الرب

في سلسلة أحاديثنا عن صوم ميلاد المسيح، الذي نستعد فيه لنعيد بميلاد المسيح، نتذكر أمرًا هامًا، وهو أن الرب قد وعد بأن يأتي من نسل المرأة لخلاصنا، ولكنه لم يأت إلا بعد آلاف من السنين، كانت في خلالها البشرية تنتظر الرب متى يجيء.

فليكن موضوعنا في هذه الليلة عن انتظار الرب.

انتظر الرب

قال الرب لآدم وحواء، إن نسل المرأة سيسحق رأس الحية، ومع ذلك بقيت الحية رافعة رأسها آلاف السنين، والبشرية تنتظر متى يأتي الرب ليسحق رأسها.

وقال الرب لإبراهيم: "بنسلك تتبارك جميع قبائل الأرض" وكرر هذا الوعد لأسحق ويعقوب. ومر أكثر من ألفي سنة، وأولاد إبراهيم ينتظرون تحقيق هذا الوعد. والرب صابر إلى أن يحل ملء الزمان.

وكانت البشرية تنتظر خلاص الرب طول ذلك الزمان، وهي واثقة أن الرب لا يدنو، ويخلص، ويحقق وعده...

أما متى يأتي، فلم يكن أحد يدري... وكثير من القديسين انتظروا طول عمرهم، "ولم ينالوا المواعيد، ولكنهم من بعيد نظروها، وصدقوها وحيوها" (عب11: 13). وتحقق مجيء الرب فعلاً، بعد طول هذا الانتظار. وأنا أريد أن أكلمكم الليلة عن انتظار الرب.

يقول المزمور: "انتظر الرب. تقو ولتشد قلبك، وانتظر الرب" وهذا المزمور يعطينا معنى جميلًا عن طريقة انتظارنا للرب. وهي أننا لا ننتظر في يأس "أو في انهيار أو ضعف. بل ننتظر في قوة، وقد تشدد قلبنا بالإيمان... هذه القوة يشرحها لنا أشعيا النبي، حينما يقول عن انتظار الرب:

"وأما منتظرو الرب فيجدون قوة. يرفعون أجنحة كالنسور. يركضون ولا يتعبون، يمشون ولا يعيون" (إش40: 31).

الإنسان الذي لم يختبر انتظار الرب، تراه باستمرار في قلق واضطراب. يطلب، ويتضايق جدًا إذا لم يستجب الرب طلبته بسرعة. وكل تأخير في الاستجابة يزيد قلبه ويفقده سلامه...

أما الذي ينتظر الرب، فلا يفقد سلامه أبدًا، ولا يقلق.

إيليا النبي، وعده الرب أن تمطر السماء، وصلى ولم تمطر، وصلى ثانية وثالثة ورابعة ولم تمطر. ولم يقلق إيليا، وانتظر الرب. وفي الصلاة السابعة، رأى غيمة في حجم قبضة اليد، فوثق بالرب وتشدد... وامطرت السماء،

إن انتظار الرب هو اختبار لإيماننا، هل يتزعزع إيماننا إن ابطأ الرب، أم يظل ثابتًا كما هو؟...

إن الذي يعيش في حياة الإيمان، يلقي أموره في يد الرب، ويتركها هناك. لا يقلق، ولا يضطرب، ولا يستعجل الرب. إنما يؤمن أن الله سيحل كل شيء، بالطريقة السليمة، وفي الوقت المناسب. حقًا ما أعمق قول الرب لتلاميذه:

"ليس لكم أن تعرفوا الأزمنة والأوقات، التي جعلها الآب في سلطانه" (أع1: 7).

نحن ننتظر الرب، ومنتظر الرب في رجاء وفي ثقة، وفي فرح، ونحن متأكدون أنه سيأتي. لا نعلم متى يأتي، ولكننا متأكدون أنه سيأتي ويعمل لخلاصنا... صباحًا، أم ظهرًا، أم نصف الليل، أم في الهزيع الرابع؟ ... لسنا ندري، ولكننا نترك تحديد الوقت لحكمته.

إن منتظر الرب، يثق بأمرين أساسيين يعتمد عليهما في انتظاره: وهما محبة الرب الفائقة للبشر، وحكمته التي لا تحد... وفي فترة الانتظار، لا نلجأ إلى الحلول البشرية.

لا نفعل مثل رفقة عندما ينست من انتظار الرب في منح البركة ليعقوب، فلجأت إلى الذكاء البشري في خداعه وحيله. ولا نفعل مثل إبراهيم، الذي ينس من انتظار الرب في ولادة إسحق، فأخذ هاجر... حقًا إن الطرق البشرية نتيجة مؤلمة لليأس في انتظار الرب، والقلق إذا طالت المدة. لذلك يقول المرثل في المزمور:

انتظرت نفسي الرب، من محرس الصبح حتى الليل...

لا تقلق وتظن أن الله يبطئ في قدومه. فالله لا يبطئ أبدًا، مهما ظننته قد تأخر في استجابته...

إن الله يعرف الموعد المناسب بكل دقة، ولا يتأخر عنه ولو لحظية واحدة. وما تظنه إبطاءً، إن هو إلا انتظار الوقت المناسب.

لتكن لك ثقة في حكمه الله، وفي حسن اختياره للمواعيد... ويعوزك أيضًا أن تثق بمحبة الله لك...

إن الله محب البشر، يحبك أكثر مما تحب نفسك، ويعمل من أجل منفعتك أكثر مما تعمل أنت...

إنه يعطيك دون أن تطلب، وقبل أن تطلب، فكيف بالحري إن طلبت. وهو يعطيك ما ينفعك، أكثر من إعطائك ما تطلبه.

ربما الذي تطلبه، لا يكون مناسبًا لك، ولا نافعًا لك. وربما الوقت الذي تحدده، يعرف الله تمامًا أنه غير صالح. لذلك تواضع، واترك لحكمة الله أن تتصرف، وانتظر الرب. أليس من المؤلم أننا نثق بذكائنا أكثر مما نثق بالله!!

إن الله- فيما نظنه قد تأخر- إنما يعمل بحكمة، لا ندرك أعماقها إلا فيما بعد، عندما تتضح أمامنا الرؤية بالأكثر...

إن الذي يتأمل قصة فرعون وموسى، يتعجب جدًا...

انتظر الرب على مذلة أولاده أكثر من 400 سنة، لأن كأس الخطاة الذين سيطردهم من أمامهم لم يكن كاملًا. وانتظر أيضًا على فرعون عشر مرات، في ضربات شديدة متلاحقة، لعله يتوب أو يلين. ولعل الذين ملوا الانتظار، كانوا متعجبين... ولكنهم عندما رأوا أعجوبة البحر الأحمر، لا شك أنهم أدركوا حينئذ حكمة الانتظار وأعماقه...

لو عمل الله من أول ضربة، ما بدا عمله قويًا كما حدث عند شق البحر، ولتساءلنا نحن: لماذا لم يمنح الرب فرصة لفرعون!

إن صبر الله أكثر من 400 سنة، لم يكن معناه أنه نسي، أو أنه قد أهمل. وإنما معناه أنه يدير، ويتخير أحسن الأوقات. لذلك فلنثق بهذه الحكمة ونحن ننتظره...

قد يكون الانتظار أيضًا مدرسة للصلاة، نتعلم فيها اللجاجة، والتمسك بالرب، والاعتماد عليه، ونرتبط به في عمق...

ربما تأخر الرب علينا، يدفعنا أن نسكب أنفسنا أمامه متضرعين. وكلما طالت المدة تنضم إلى صلواتنا أصوام ومطانيات، وربما نذور. مثلما تأخر الرب على حنة زوجة القانة، فلم يفتح رحمها لتلد، حينئذ صلت صلاة، وبكت، ونذرت نذرًا، وصار ابنها إبنًا للهيكل من صغره.

سبب آخر، وهو أن الاستجابة عندما تأتي بسرعة، لا نشعر بقيمتها، ولا تمنحنا الحب والشكر والعرفان الجميل، وقد نفقدنا بسرعة بسبب عدم الحرص عليها وعدم التقدير.

إن عروس النشيد، عندما تعبت في العثور على عريسها، واحتملت من أجله، وطلبته فلم تجده، ودعته فما أجابها، وتشفعت بنات أورشليم أن يخبرنه بأنها مريضة حبًا... حينئذ لما وجدته أخيرًا، قالت: "أمسكته، ولم أره"...

هكذا لكي يجعلك الرب تمسك به، وتشتاق إليه، وتقول له: "من كل قلبي طلبتك"، يتأخر عليك قليلًا، في حكمة وحب.

كل الذين انتظروا الرب، وصلوا إلى نتائج عجيبة. والأولاد الذين أعطاهم الرب لأبائهم بعد طول انتظار. كانوا بركة لأجيالهم.

المعمدان الذي ولدته أمه بعد طول انتظار، صار الملاك الذي يهيبء الطريق أمام الرب. صموئيل الذي جاء بعد عقم وصلوات ونذور، صار النبي العظيم الذي يمسح الملوك. ويوسف الذي منحه الرب لراحيل بعد عقمها وشفاعته يعقوب، صار بركة لمصر ولوالده وإخوته...

لذلك انتظر الرب، وثق أن انتظارك ستعقبه بركة ونعمة.

نحن لا نقصد بانتظار الرب، أن تنتظر في ضجر وفي ضيق وتعب، وأنت تشك في محبة الرب وفي استجابته، أو تشك في الصلاة ومدى فاعليتها. كلا فهذا انتظار غير روجي...

إنما نقصد أن تنتظر الرب في ملء الرجاء، وملء الثقة والإيمان. تنتظره في حب. وأنت تصلي وتقول: "أنا متيقن يا رب من أعماقي، أنك ستحل هذا الموضوع. أو من بهذا. وإن حدث وتضجرت، فأعن ضعف إيماني.

أما الذي ييأس في انتظاره، وتنهار معنوياته، فإنه يسمع قول المزمور: "تقو، وليتشدد قلبك، وانتظر الرب".

إن مواعيد الرب صادقة وأمينة، ونحن نثق بمواعيد الرب... ومهما كانت العوائق التي تحارب إيماننا، فإننا لا نشك...

" وَأَمَّا مُنْتَظِرُو الرَّبِّ فَيَجِدُّونَ قُوَّةً. يَرْفَعُونَ أَجِيحَةً كَالنُّسُورِ. يَرْكُضُونَ وَلَا يَتَعَبُونَ. يَمْشُونَ وَلَا يَعْيُونَ." (إش 40: 31). .. لقد وعد الله بأن نسل المرأة ستبارك به جميع قبائل الأرض. ومع ذلك لعنت الأرض: وغرق العالم بالطوفان. ولكننا لم نياأس. لقد أبقي الله لنا بقية في نوح وبنيه... ثم فسد أولاد نوح، فلم نياأس، لقد أبقي الله لنا رجاء في إبراهيم، ثم في يعقوب وبنيه... وفسد بنوه، ومع ذلك استمر نور الرب يشرق، حتى جاء ملء الزمان، وجاء معه المسيا المنتظر...

نحن لا نُؤمن فقط أن الله سيعمل، بل نُؤمن أنه يعمل فعلاً، وربما بدأ في عمله من أجلنا قبل أن نطلب بزمان...

وسأضرب لكم مثالًا: كنيسة تحتاج إلى خدمة عاجلة، وتطلب من الرب أن يسام لها كاهن قديس نشيط محب، على وجه السرعة، وربما تتأخر السيامة شهورًا، أو سنة أو أكثر. ويصرخ الشعب "لماذا يارب تأخرت؟!". ويجيبهم الرب: أنا لم أتأخر. بل على العكس، فمئذ أربعين سنة أو ثلاثين، وأنا أعد لكم هذا الكاهن، وقلب خاص، وروحيات خاصة، ويتجارب وخبرات، وبنوعية خاصة تناسب كنيستكم... قبل أن تطلبوا بزمان...

إن أولاد الله سعداء دائمة ومطمئنون... كلما حاربهم الشك يقولون: "هوذا صوت حبيبي، طافرًا على الجبال، قافرًا على التلال". يقينًا أن هذا الطافر على الجبال، لا يمكن أن يبطيء...

إن راكب الطائرة، يخيل له أحيانًا أنها واقفة، بينما تسير بأقصى سرعة. وأحيانًا تنظر إلى المروحة الكهربائية، فتظنها واقفة وهي في أقصى سرعتها... هكذا الله أحيانًا في عمله.

في انتظار الرب، لا تعتمد على العيان، ولا على الحواس، ولا على الفهم البشري، وإنما على الإيمان.
وهناك أعمال يعملها الرب معنا، لا نحس نتائجها إلا متأخرًا.

مقال لعداسة البابا شنودة الثالث - بمجلة الكرازة - السنة السابعة (العدد الحادي والخمسون) 1976-12-17م